الحاسة الأدبية عند عبد الملك بن مروان

أبعادها وأياديها

د . محمد كريم

لا أحسبنى مغاليا اذا قلت : ان كثيرا من الشخصيات العربية التى فرضت وتفرض عبقريتها على مسرح الحياة فتحيله الى طاقات هائلة متنوعة .. ترفعهم الى أعلى درجات الشهرة والتفوق فيما يصبون اليه من تطلعات وآمال يتمتعون بحس أدبى متميز يكسبهم من صفاء القريحة وحدة الذهن وشحذ الهمة ما يعينهم على احتواء مصادر الاخفاق واستلهام أسباب الرقى واحراز قصب السبق فى أى اتجاه انسانى هذا فضلا عما يحظى به الأدب نفسه من ابداعاتهم أو نظراتهم النقدية الملماحة التى تثريه وتأخذ بيده الى حيث يجب أن يكون .

ويبدو أن هذه ظاهرة تجاوزت الشخصية النابهة من أبناء يعرب الى أبناء الأمم الأخرى النابهين ممن لهم علاقات متميزة بآدابهم ، وعلى سبيل الاستدلال نجد مشاهير العلماء فى أوربا تربطهم بآدابهم صلات قربى — « فقد كان أينشتين مولعا بالأدب وكذلك عالم الطبيعة الأمريكى الأشهر « هول » صاحب العديد من المؤلفات الأدبية ، وعالم الأعصاب الكندى الكاتب الكبير « بنفيلد » وأستاذ الطبيعة الكاتب الانجليزى « سناو » وغيرهم » (١) .

ومن المصادفات الطيبة لكلمة « أدب » أنها اكتسبت كثيرا من ملامح هذا البعد الانسانى عند العرب منذ القدم وقبل أن تصل الى معناها الذى استقر فى اذهان الدارسين والباحثين من الأدباء والنقاد

---

(١) مجلة عالم الفكر المجلد الخامس عشر العدد الرابع ص ٦٨

وهو فى أبسط صوره : التعبير عن تجربة شعورية فى صورة موحيـة شعرا كانت أو نثرا .

وها هو ذا علقمة بن علاثة الجاهلى فى وفد من وجوه العـرب وساداتهم أمام كسرى وقد حرص كل الحرص على أن يرفع من شأن العرب فكان مما وصفهم به أنهم على جانب رفيع من الأدب وذلك فى قوله : فليس من حضرك منا بأفضـل ممن عزب عنك ، بل لو قست كل رجل منهم وعلمت منهم ما علمنا لوجدت له فى آبائه أندادا وأكفاء كلهم إلى الفضل منسوب ، وبالشرف والسؤود موصوف ، وبالرأى الفاضل والأدب معروف (٢) .

وبيعث رسول الله ـ ﷺ ـ فتفد عليـه الوفود من كل حـدب وصوب ، ويخاطبها بما تحمده ويتفق مع ما جاء به من الهدى حتى قال له على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ : يا رسول الله نحن بنو أب واحد وفراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره ، فقال له رسـول الله ـ ﷺ ـ : أدبنى ربى فأحسن تأديبى وربيت فى بنى سعد (٣) .

ومما ورد بشأن الشعر ـ وهو شطر الأدب ـ وما له من أثر على صـاحب الحس الأدبى الذواقة القول : ولسـنا فى حاجة الى أن نشير الى أهمية الشعر فى رقى النوع البشرى وتهذيبه ، فقد عمـل الشعر كمـا عملت العلوم على اسعاد الانسان . وكان للخيال الذى يتضمنه الشعر ما للحقائق العلمية التى تقررها العلوم من الأثر الكبير فى تغيير نظم الحياة وتكييف عقلية الآدميين ، فبينا الحقائق العلميـة تكون مقررة القواعد ثابتة الأساس سهلة الاتباع ـ اذا بالخيال الذى يتخلل ثنايا الشعر عون على أن يأخذ بيد الانسان ليرفعه من وهدة

---

(٢) العقد الفريد ج ١ ص ٢٨٤ .
(٣) النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج ١ ص ٣ .

عميقة مظلمة الى شاهق عال مرتفع ملىء بالنور والحياة حتى يمكنه أن يطل على سبل تقدمه ورقيه ، فاذا هو يراها شاخصة واضحة ، واذا هو بتكرار النظر يعرفها ويتحقق مسالكها ، واذا هو بعد فترة وجيزة أو غير وجيزة يضع قدمه على أبوابها فيسير فيها على طريق مستقيم (٤) .

ومما يترجم مثل هذا القول الغائث الى واقع عملى مشاهد ما كان من أمر معاوية بن أبى سفيان حينما فكر فى الهرب بعيدا عن ميدان الحرب والقتال ، واذا به يتذكر شعرا حماسيا بحس لاقط وتذوق واع فيجد فيه تشخيصا للهمم والبطولات يدفع بالنفس الانسانية الى حيث تحقيق الذات وتخليد المآثر فى مواطن الشدائد فيعود الى الانخراط فى صفوف المحاربين .

يستفاد ذلك من قوله : يجب على الرجل تأديب ولده ، والشعر أعلى مراتب الأدب ، فاجعلوه أكبر همكم وأكثر دأبكم ، وقد رأيتنى ليلة الهرير بصفين ، وقد أتيت بفرس أغر محجل بعيد البطن من الأرض وأنا أريد الهرب لشدة البلوى ، فما حملتنى على الاقامة الا أبيات عمرو بن الاطنابة :

أبت لى همتى وأبى بلائى
وأخذى الحمد بالثمن الربيح
واقدامى على المكروه نفسى
وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت
مكانك تحمدى أو تستريحى(٥)

---

(٤) دائرة المعارف البريطانية مادة
(٥) العمدة جـ ١/٢٩ .

لأدفع عن مآثر صالحات
وأحمى بعد عن عرض صحيح(٦)

وما دمنا بصدد الحديث عن الحاسة الأدبية وأثرها الفعال فى تفوق الكثيرين من الشخصيات النابهة ذات الحس المرهف والاقتدار على تحقيق رغائبها ، فجدير بنا أن نقف عند عبد الملك بن مروان ، وقد قدر لى الاطلاع على كثير من أخباره فى كتب التراث فوجدته من هؤلاء الذين يتضح فيهم هذا الجانب بجلاء ، حيث تولى خلافة الأمويين وعوامل الدمار تكاد تعصف بها وتحيلها أثرا بعد عين ، فما أن مات معاوية بن أبى سفيان حتى قتل الحسين — رضى الله عنه — وحمل رأسه الشريف الى يزيد بن معاوية ، وتتوالى الأحداث تباعا فتستباح مدينة رسول الله — ﷺ — ثلاثة أيام لمن ؟ لجيش يزيد بن معاوية أيضا — خليفة المسلمين — ! بقيادة مسلم بن عقبة المرى •

ويعقب يزيد فى الخلافة ابنه معاوية الثانى ، لكن سرعان ما حضرته الوفاة دون أن يبايع لأحد ، ويبدو أنه كان غير راض عما آل اليه أمر الخلافة بعد أن كان شورى بين المسلمين •

اذ يروى أنه لما حضرته الوفاة قيل له : لو عهدت الى رجل من أهل بيتك •• واستخلفت خليفة ! قال : لم أنتفع بها حيا فلا أقلدها ميتا ، لا يذهب بنو أمية بحلاوتها وأتجرع مرارتها ، ولكن اذا مت فليصل على الوليد بن عتبة وليصل بالناس الضحاك بن قيس حتى يختار الناس لأنفسهم (٧) •

وطبيعى أن تؤدى أحداث كهذه الى اثارة العواطف الدينية وتوسيع شقة الخلاف بين طوائف الأمة بعامة وازدياد نفوذ الناظرين

---

(٦) العمدة جـ ١ ص ٢١ •
(٧) العقد الفريد جـ ٥ ص ١٤٠ •

للخلافة من دون الأمويين ، فقوى شأن الشيعة والخوارج واتسع نفوذ ابن الزبير بانضمام القيسيين اليه ، ودخول مصر والكوفة والبصرة وخراسان فى طاعته .

ولم يقف الأمر عند حد هذه الأحزاب المتصارعة والمعادية لبنى أمية وانما ظهرت حركات فردية معادية أيضا وصادفت قبولا وترحابا من بعض بيوتات العرب وبخاصة تلك التى تكن العداء للأمويين مثل حركة المختار الثقفى وحركة ابن الأشعث .

وكاد الأمر يفلت من قبضة الأمويين الا أن أصحاب الرأى فيهم عقدوا مؤتمرا فيما بينهم عرف فى التاريخ الاسلامى « بمؤتمر الجابية » واتفقوا على أن يبايعوا مروان بن الحكم بالخلافة ، ثم تكون بعد ذلك لخالد بن يزيد بن معاوية ثم لعمرو بن سعيد بن العاص ، وما هى الا شهور حتى توفى مروان بعد أن عزل خالدا عن ولاية العهد وعين ابنه عبد الملك بدلا منه ، وبصنيعه هذا ترك ميراثا ضخما من الآلام والعقبات أمام ابنه عبد الملك ومصير الخلافة فى بنى أمية ، فهو لم يكتف بما عليه حال المسلمين من الانقسامات والعصبيات التى عادت أقوى مما كانت عليه قبل الاسلام وانما أراد أن يضع بذور الفتنة بين ابناء البيت الأموى نفسه قصد أم لم يقصد .

ومما هو جدير بالذكر أن عبد الملك تمكن من التغلب على كل هذه الآلام والعقبات واستطاع أن يعيد الأمن للبلاد والأمل لأولاد الأمويين من بعده فى .. الاستئثار بالخلافة بعد أن كادت تفلت من قبضتهم .

لذا فان عبد الملك يعد بحق المؤسس لدولة بنى أمية بعد معاوية ، فها هو ذا يتمكن من هزيمة أكبر قوة للشيعيين آنذاك ، وكانوا قد اجتمعوا بالنخيلة بقيادة سليمان بن صرد ، ثم انتقلوا منها الى قبر

الحسين ــ رضى الله عنه ــ فبكوا كثيرا وعزموا على الانتقام من الأمويين الا أن جيش عبد الملك بقيادة الحصين بن نمير الشكونى تمكن من التغلب عليهم فى عين الوردة (٨) .

والخوارج كانوا قد استولوا على « كرمان » وبلاد « فارس » وهددوا « البصرة » الا أن عبد الملك سير اليهم من الحملات العسكرية ما أضعف من شوكتهم وحد من نشاطهم (٩) .

وبحصار جيش عبد الملك « كملة » مدة ليست باليسيرة اضطر المكيون الى طلب الأمان وتخلى عن ابن الزبير الكثير من الأقارب والأنصار ، ولم يبق معه الا قلة من الأوفياء ولكنه ثبت واستبسل حتى قتل سنة ٧٣هـ وصلبه الحجاج بمكة فخلص لعبد الملك الحجاز وقد كان العراق قد خلص اليه بعد قتل مصعب (١٠) .

أما عن القيسية فقد تمكن عبد الملك من عقد صلح مع زعيمهم « زفر بن الحارث الكلابى » بقنسرين ، كما تمكن من قتل عمرو بن سعيد ابن العاص بدمشق ، وكان قد ثار عليه طمعا فى الحكم واستنادا الى ما كان قد اتفق عليه فى ... مؤتمر الجابية .

ومثل هذه التبعات التى ألقيت على كاهله منذ أن بويع له بالخلافة كشفت عن تمتعه بحاسة أدبية واعية تمثلت فى افتتانه بالنص الأدبى الجيد ــ أيا كانت معالم جودته اضفاء وحفظا وتمثلا به فى وقت الفرح والمرح وساعات العزم والحزم ، وعاقدا لمجالسه وكاشفا عن مواطن الجمال والقبح فيه كشفا يعتمد فى معظم أحواله على التذوق الفنى

---

(٨) الكامل لابن الأثير جـ ٤ ص ٧٣ .

(٩) فجر الاسلام ص ٣٠٢ .

(١٠) أدب السياسة فى العصر الأموى ص ١١٨ .

والادراك المتقن لجماليات النص فى وقت سادت فيه النظرة العجلى والأحكام الانطباعية السريعة على النص •

على أنه لا ينبغى لنـــا أن نغفل حقيقة شغف عبد الملك وافتتانه بالنص الشعرى أكثر من سواه ، وذلك راجع الى ارتفاع صوت الشعر وتسنمه المكانة الرفيعة بين وسائل التعبير آنذاك ، حيث قدر خلفـــاء بنى أمية بعـــامة وعبد الملك بخاصة ما للشعر والشعراء من أثر على النفس البشرية فوجهوا اهتمامهم للشعر وحرصـــوا على أن يجمعوا حولهم قـــدرا كبيرا من الشعراء ، ولم يجـــدوا حرجا من أن يتألفوا قلوبهم بالمـــال والعطايا رغبة فى الدعوة لهم والتصدى لمناوئيهم •

وها هو ذا معاوية يدعو الى التعلق بالشعر والاحتفال به فيقول : اجعلوا الشـــعر أكبر همكم وأكثر دأبكم(١١) وعبد الملك يوصى مؤدب ولده بقوله : علمهم الشعر يمجدوا وينجدوا(١٢) •

وقد أدى هذا الاهتمام بالشعر الى أن أصبح كما كان فى الجاهلية نظير الرمح وقرينه • وشطر عدة المحارب وروح دعوته ، والمتربع على عرش الأدب بأجناسه المختلفة • غير عابىء بما كان للاسلام من اثر فى تهذيب موضوعاته وسمو معانيه •

ومن هذا المنطلق ـــ « نستطيع أن نقول : اننا اذا شبهنا تاريخ الشعر العربى بسلسلة من الجبال تعلو وتهبط وتتدرج نزولا وصعودا فان ظهور الدعوة الاسلاميةيمثل مبدأ الانحدار الذى يستمر فلا يتوقف الا بعد مقتل عثمان ـــ رضى الله عنه ـــ حيث نكون قد وصلنا الى قاعدة الجبل لنبدأ من جديد الصعود تدريجيا الى قمة جبل آخر ولا نبلـــغ

---

(١١) العمدة جـ ١ ص ٢١ •

(١٢) الأمالى للقالى جـ ١ ص ٨ •

تلك القمة الا فى أيام جرير وصاحبه الأخطل والفرزدق تلك الأيام التى تسير جنبا الى جنب مع عصر القوة والنشاط والاستقرار السياسى والاقتصادى فى العهد الاول ولا يكاد ثلاثتهم يتركون الميدان حتى نكون قد خلفنا تلك القمة الشامخة وراء ظهورنا واستقبلنا جانبا آخر من جوانب الجبل ينحدر رويدا رويدا نحو العصر العباسى »(١٣) .

وها هو ذا الشعبى وقد دخل على عبد الملك فوجده قد كبا مهتما فقال : ما بال امير المؤمنين ؟ قال : يا شعبى ذكرت قول زهير(١٤) :

كأنى وقد جاوزت سبعين حجة
خلعت بها عنى عذار لجامى
رمتنى بنات الدهر من حيث لا أدرى
فكيف بمن يرمى وليس برام
فلو أننى أرمى بنبل رأيتها
ولكن أرمى بغير سهام
على الراحتين تارة وعلى العصا
أنوء ثلاثا بعدهن قيامى

ويطلب عمر بن على بن أبى طالب من عبد الملك أن يصير اليه صدقة أبيه على بن أبى طالب — رضى الله عنه — وكانت تصير الى ولد الحسين فأبى وتمثل أبياتا لابن أبى الحقيق تدعو الى احقاق الحق والالتزام به وفيها يقول(١٥) :

انى اذا مالت دواعى الهوى
وأنصت السامع للقائل

---

(١٣) تاريخ الشعر العربى للكفراوى جـ ١ ص ٧٨ .
(١٤) العقد جـ ٢ ص ٣٦٩ .
(١٥) العقد جـ ٥ ص ١٥٠ (اعتلجوا : التحموا صراعا وقتالا) .

واعتلـــج النـــاس بآرائهم
نقضى بحكـم عادل فاصـــل
لا نحيـل الباطل حقـــا ولا
نرضى بدون الحـق للبـــاطل

وها هو يتمثل شعرا زهديا ــ وقد حضرته الوفاة ــ يترجم عما كان عليه وعما صار اليه فيقول(١٦) :

لعمـــرى لقد عمـرت فى الدهر برهة
ودانت لى الدنيـا بوقع البـواتر
وأعطيت حمـر المال والحكـم والنهى
ولى سـلمت كل الملـــوك الجبابر
وأضـــحى الذى قد كان ممـا يسرنى
كلمح مضى فى المزمنـــات الغـوابر
فيا ليتنى لم أعن بالملك ســـاعة
ولـم اله فى لذات عيش نواضـــر
وكنت كـذى طمـرين عـاش ببلغـة
من الدهر حتى زار ضـــنك المقـابر

وهذه نمـاذج ذكرتها على سـبيل الاستدلال لا الحصر لتكشف عن حفظ عبد الملك للشعر أيا كان عصره وغرضه وتدلل على دقة تمثله بما يحفظ من الشعر حفظ الفاهم الذواقة .

ومع حفظه للشعر ودقة تمثله به كان يحب سماعه والاصغاء اليه دون مل فاذا ما ركب اصطحب حاد يحدو ابله برجز ، وغالبا ما يكون

---

(١٦) مروج الذهب ج ٣ ص ٥٠ (الطمر : الثوب الخلق) .

فى مدحه ، وها هو ذا عبد الملك يخرج يوما رائحا على نجيب ومعه حاد يحدوه بقوله(١٧) :

يا أيها البكر الذى أراكا
عليك سهل الأرض فى ممشاكا
ويحك هل تعلم من علاكا
ان ابن مروان على ذراكا
خليفة الله الذى امتطاكا
لم يعل بكرا مثل ما علاكا

واذا ما تعرض لما يؤرقه وجد علاجا فى سماعه للشعر وأخبار الشعراء ، — « ويروى أنه أرق ذات ليلة فقال : اطلبوا لى رجلا يحدثنى ، فخرجوا الى المسجد ، فوجدوا رجلا فأدخلوه ، فقال له عبد الملك : من أنت ؟ قال : أنا فلان وكنت من أصدق الناس لجميل (الشاعر) قال : فحدثنى عنه ، قال : خرجت معه مرة حتى انتهينا الى خباء لآل بثينة وسمعت به ... فأقبلت فى نسوة معها وأقبل جميل نحوها ، فقعدن وقعد فتحادثوا ساعة ثم أخلوهما ، فلم يزالا يتشكيان حتى غشينا الصبح فودع كل منا صاحبه ، ثم وضع جميل رجله فى الغرز ، فمالت اليه بثينة ..فقالت : يا جميل ادن منى ، فمال اليها برأسه وعنقه فسارته بشىء فخر مغشيا عليه ، ثم مضت ، فأتيته فلم أزل عند رأسه حتى طلعت الشمس عليه ، فقام ينفض رأسه وهو يقول :

فما مكفهر فى رحى مرجحنة
ولا ما أسرت فى معادنها النحل

---

(١٧)تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٥٩ (البكر : الفتى من الابل) .

بأحلى من القول الذى قلت بعـــدما
تمكن فى حـــيزوم ناقتى الرحـــل

فقال له عبد الملك : ويحك ! فهل تدرى ما سارته به ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين(١٨) .

لذا لا نعجب اذا ما تبين لنا أن الشعر كان ينفذ الى أعمق وأدق الأحاسيس والمشاعر عند عبد الملك فيحرك ساكنها ويذيب ما ران عليها من هموم الملك لاسيما اذا ما كان شعرا جيدا ذا ايحاءات مؤثرة وقد حدث أن عبد الملك بن مـــروان لما أنزل زفر بن الحـــارث الكلابى عن « قرقيسيا » واستقدمه اليه وأقعده على سريره ، عاتبه البعض على تقدير رجل كان فى الأمس من ألد أعدائه وسيفه يقطر من دماء قومـــه فلم ينفع العتاب ، فبلغ ذلك الأخطل وهو يشرب ، فمضى حتى دخل على عبد الملك وأنشد :

وكأس مثـــل عـــين الديك صرف
تنسى الشـــاربين لهـــا العقـــولا
اذا شـــربت الفتى منهـــا ثلاثـــا
بغـــير المـــاء حـــاول أن يطـــولا
مشى قرشـــية لاشـــك فيهـــا
وأرخـــى من مـــآزره الفضـــولا

فقال : له عبد الملك : ما أخرج هذا منك يا أبا مالك الا خطـــة فى رأسك . قال : أجل والله يا أمير المؤمنين ، حيث تجلس عدو الله هذا معك على السرير ، وهو القائل بالأمس :

---

(١٨) الشـــعر والشـــعراء جـ ١ ص : ٤٣٩ (مرجحنه : ثقيلة ـ الحيزوم : وسط الصدر وما يضم عليه الحزام) .

وقد ينبت المرعى على دفن الثرى وتبقى حزازات النفوس كماهيا

فقبض عبد الملك رجله ثم ضرب بها صدر زفر فقلبه عن السرير، وقال : اذهب الله حزازات تلك الصدور(١٩) ٠

وقد يقال : ان عبد الملك تأثر بما قاله الأخطل لأنه شاعره المفضل ٠٠٠ فأراد أن يرضيه بصنيعه مع زفر بن الحارث الكلابى أو لأن الأخطل آثار فى عبد الملك غضبه الشديد على « زفر » حينما خرج عليه وأعلن العصيان فكان من عبد الملك ما كان ٠

والواقع أن فى كتب الأدب التراثية من النماذج الكثيرة ما يؤكد افتتان عبد الملك بالشعر الجيد حتى ولو كان صادرا من عدوه ، ويكفى على سبيل الاستدلال أن عبد الملك سأل عن عمران ابن غصام — وكان من الشعراء الذين خرجوا عليه مع ابن الأشعث — فقيل له — قتله الحجاج ، فقال : ولم ؟ ٠٠٠ قال : بخروجه مع ابن الأشعث ، قال : ما كان ينبغى له أن يقتله بعد قوله فيه :

وبعثت من ولد الأغر معتب
صقرا يلوذ حمامه بالعوسج
فاذا طبخت بناره أنضجتها
واذا طبخت بغيرها لم تنضج
وهو الهزبر اذا أراد فريسة
لم ينجها منه صريخ الهجهج(٢٠)

وكثيرا ما كان الشعراء المجيدون يظفرون بهباته السخية وجوائزه الثمينة وعلى سبيل الاستدلال أيضا ما كان شأنه مع « أعشى ربيعة »

---

(١٩) تاريخ آداب اللغة العربية جـ ١ ص : ٢٥٠ ٠
(٢٠) العقد الفريد جـ ٥ ص ٣١٣ ٠

عبد الله بن خارجة حيث دخل على عبد الملك فمدحه بقصيدة طرب لها عبد الملك أيما طرب ومما قاله فيها :

وما أنا فى أمرى ولا فى خصومتى
بمهتضم حقى ولا قارع سنى
ولا مسلم مولاى عند جناية
ولا خائف مولاى من شر ما أجنى
وان فؤادا بن جنبى عالم
بما أبصرت عينى وما سمعت أذنى
وفضلنى فى الشعر واللب أننى
أقول على علم وأعرف من أعنى
فأصبحت اذ فضلت مروان وابنه
على الناس قد فضلت خير أب وابن

فقال عبد الملك : من يلومنى على هذا ؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة تخوت ثياب وعشر فرائض من الابل • وأقطعه ألف جريب وقال له : امعن الى زيد الكاتب يكتب لك بها • وأجرى له(٢١) •

ومثل هذا العطاء ليس بغريب على رجل كان يقدر بحسه الأدبى الواعى ما لحسن البيان وبلاغة القول — ولو لم يكن شعرا — من أثر فعال فى النفوس • فقد حدث — أن وقع فى قبضته رجل من الخوارج وكان يهم بقتله ، واذا بابنه مروان يدخل عليه باكيا لأن مؤدبه ضربه ، فشق ذلك على عبد الملك ، فأقبل عليه الخارجى يقول(٢٢) :

دعه يبك ، فانه أرحب لشدقه — وأصح لدماغه ، وأذهب لصوته ، وأحرى ألا تأبى عليه عينه اذا حضرته طاعة ربه فاستدعى غبرتها ، فتعجب عبد الملك وقال له : أما يشغلك ما أنت فيه عن هذا ؟ فقال

---

(٢١) تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٢٦٣ •
(٢٢) تهذيب الكامل ج ١ ص ١٨٤ •

الخارجى : ما ينبغى أن يشـــغل المؤمن عن قول الحـــق شىء • فأمر عبد الملك بحبسه وصفح عن قتله ، وقال له : لولا أن تفسد بألفاظك أكثر رعيتى ما حبستك •

ويدخل العجاج الراجز المشهور على عبد الملك فيسأله عبد الملك، يا عجاج بلغنى انك لا تقدر على الهجاء ، فقال : يا أمير المؤمنين من قدر على تشييد الأبنية أمكنه اخراب الأخبية،قال : فما يمنعك من ذلك ؟ قـــال : ان لنا عـــزا يمنعنا من أن نظلم ، وان لنـــا حلمـــا يمنعنـــا من أن نظلم ، فعـــلام الهجـــاء ؟ قـــال عبد الملك : لكلماتك أشعر من شعرك • فانى لك بعـــز يمنعك من أن تظلم ؟ قال : الأدب البارع ، والفهم الناصع ، فما الحلم الذى يمنعك من أن تظلم ؟ قال:الأدب المستطرف،والطبع التالد،قال : ياعجاج لقد أصبحت حكيما، قال : وما يمنعنى وأنا نجى أمير المؤمنين ؟؟ •

ولعل فى هذا ما يكشف لنا عن سر نفوره الشديد وتحذيره من(٢٣) اللحن فى القول لأنه ــ هجنة عـــلى الشريف ، وأقبح من التفتيق فى الثوب والجدرى فى الوجه ــ وكان يحز فى نفسه ما عـــرف به ولداه « الوليد ــ ومحمد » من اللحن • وكان يقول : لقد أضر بالوليد حينا له فلم نوجهه الى البـــادية »(٢٤) • وسئل يوما لم عجل عليك الشـــيب يا أمير المؤمنين ؟ فقال : شيبنى ارتقاء المنابر وتوقع اللحن(٢٥) •

وكان لعبد الملك بن مروان نظرات نقدية فى الشعر بأغراضه المختلفة تشعرنا بدقة احساسه بمواطن الجمال ، هذا فضلا عما كان لها من دور بارز فى الارتقاء بالنقد والأخذ بيده من مرحلة الانطباعية والتعميم الى

---

(٢٣) الخطابة فى صدر الاسلام جـ ٢ ص : ٢٨٢ د• محمد طاهر درويش •

(٢٤) العقد الفريد جـ ٢ ص ٣٠٨ •

(٢٥) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٣٥٧ •

مرحلة التعليل والتحليل الفنى المقنع،ويكفى عبد الملك أن تحظى نظراته النقدية ــ بعد فترات زمنية ليست باليسيرة ــ بأنصار من علمائنا النقاد يفسرونها ويتخذون منها أسسا نقدية يتزود بها الناقد فى تعامله مع النص الشعورى ويسير الشاعر على هديها فى التعبير عن تجاربه الشعورية •

وها هو ذا عبد الملك يسر بمقدم جرير ويجزل له فى العطاء بعد ان كان غاضبا عليه لمديحه للقيسية ــ وكانت من القبائل المتمردة عليه ــ فقد روى أن الحجاج أرسل جريرا الى عبد الملك فى صحبة ابنه طمعا فى السماح له بالدخول ، فلما دخل جرير قال له عبد الملك : ماذا عسى أن نقول فينا بعد قولك فى الحجاج عاملنا :

من سد مطلع النفاق عليكم أو من يصول كصولة الحجاج !

ان الله لم ينصرنا بالحجاج ، وانما نصر دينه وخليفته ، وظهر الغضب فى وجه عبد الملك ، فتوسط ابن الحجاج فى الرضى ، فاستأذن جرير فى الانشاد ، وأنشد قصيدته التى يقول فيها :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح ؟

فتبسم عبد الملك وقال : وكذلك نحن وأمر له بمائة من الابل وثمانية أعبد لرعايتها • وكان بين يديه صحاف من فضة • فقال جرير : والمجلب يا أمير المؤمنين ؟ فنبذ اليه بواحدة منهن ، فلذلك يقول جرير فى قصيدة يمدح يزيد بن عبد الملك :

أعطوا هنيدة يحدوها ثمانية ما فى عطائهم من ولا سرف

وصار يفد على عبد الملك من ذلك الحين ، ويأخذ الجوائز ، وكانت جائزته أربعة آلاف درهم وتوابعها من الحملان والكسوة(٢٦) •

---

(٢٦) أدباء العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام ص ٣٦٣ وما بعدها•

وبون شاسع بين ما كان من عبد الملك لجرير وما كان منه لعبد الله بن قيس الرقيات ، حيث أقبل هو الآخر على عبد الملك بعد قتل مصعب ، وكان ملازما له يمدحه ، فقال من قصيدة يمدح بها عبد الملك ، وكان قد أمنه :

يعتدل التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

فقال له عبد الملك : يا ابن قيس تمدحنى بالتاج كأنى من العجم وتقول فى مصعب :

انما مصعب شهاب من اللـ ـه تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك عزة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء

أما الأمان فقد سبق ، ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبدا (٢٧) .

وكان بالامكان أن يكرم عبد الملك ابن قيس الرقيات كما كان الشأن مع جرير — وقد كان غاضبا عليه أيضا — لكن كأنى بعبد الملك وقد رضى كل الرضا عن جرير لأنه وان مدح الحجاج بما يدور حول تزكية النفس وسموها من الحزم والشجاعة ونحوهما الا أنه فى مديحه لعبد الملك كان أكثر تركيزا على صفات النفس المتطلعة الى التفرد فى كل سام ونبيل لا ليرفع من شأن عبد الملك فحسب ولكن من شأن الأمويين جميعهم . فبنو أمية ارتقوا الى أعلى درجات الخير دون الناس جميعا فى كل ميادين الشجاعة ، لأن قول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا ؟

يوحى بالخيرية فى كل جليل تركب من أجله المطايا حربا كان لرد عدوان أو احقاقا لحق أو اغاثة لملهوف وما الى ذلك من الوان الشجاعة

---

(٢٧) تاريخ آداب اللغة العربية جـ ١ ص ٢٨٥ .

التى يعتز بها العربى ويفخر ، هذا فضلا عن تسنم بنى أمية لأعلى درجات الكرم دون العالمين .

... وأندى العالمين بطون راح ؟

ومن هنا كان اعجاب عبد الملك بما قاله جرير فيه وفى قومه أقوى وأشد من اعجابه بما قاله جرير فى الحجاج فكان الرضا والعطاء لكن كيف يرضى عن ابن قيس الرقيات وقد جعل من مصعب فى بيتيه اللذين أعجب بهما عبد الملك شهابا من الله تفرج به الكرب وتمحى الظلمات وتحقق به العزة للرعية وتبدد صروح الجبروت والكبرياء .

ولو أن ابن قيس الرقيات جعل فى مديحه لعبد الملك ما جعله ... لمصعب من التركيز على صفات النفس والفؤاد بدلا من جعله ملكا متوجا يشع النور من جبينه كأنه الذهب ، وهى صورة لا تفرد فيها ولا نصدرة ، ولا توحى بأى معنى نبيل يتمتع به أو يربطه بالرعية ، ومن هنا كان غضبه ونفوره من ابن قيس الرقيات .

وقد يقال : ان ما حدث من عبد الملك لابن قيس الرقيات لا علاقة له بما قاله فى مديحه ، وانما لاخلاصه للزبيريين بعامة ومصعب بخاصة قبل أن يجأ الى عبد الملك .

ولو أن الأمر كذلك لما حظى ابن قيس الرقيات بالأمان من قبل عبد الملك ، ولما سمح له بالانشاد بين يديه ثم بين ما قاله «ابن قيس» فى مديحه لمصعب وما قاله فى مديحه له .

ويأتى قدامة بن جعفر — أحد نقادنا القدامى — بعد وفاة عبد الملك بما يجاوز المائتى سنة ليرى رأيا فيما ينبغى أن يكون عليه المديح ، فيتخذ من موقف عبد الملك مع جرير وابن قيس الرقيات ما يعضد به رأيه ويقويه ومما قاله فى هذا الصدد(٢٨) :

---

(٢٨) نقد الشعر ص ١٨٤ وما بعدها .

لما كنا قدمنا من حال المديح الجـارى على الصواب ما أنبأنا أن الذى يقصد فيه المدح للشىء بفضائله الخاصة به ، لا بما هو عرضى فيه ، وجعلنا مديح الرجال مثالا فى ذلك ، وذكرنا أنه من قصد لمدحهم بالفضائل النفسية كان مصـيبا ، وجب أن يكون ما يأتى به من المـدح على خلاف الجهة التى ذكرناها فى النعوت معيبا .

ومن الأمثلة الجياد فى هذا الوضع ما قاله عبد الملك بن مـروان لعبيد الله بن قيس الرقيات حيث عتب عليه فى مدحه اياه ، فقال له : انك قلت فى مصعب بن الزبير :

انما مصعب شهاب من اللـ ـه تجلت عن وجهه الظلماء

وقلت فى :

يأتلق التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

فوجه عتب عبد الملك انما هو من أجل أن هذا المـادح عـدل عن بعض الفضـائل النفسية التى هى العقل والعفة والعدل والشجاعة الى ما يليق بأوصاف الجسم فى البهاء والزينـة وقد كنا قد قدمنا أن هذا غلط وعيب .

ويذهب ابن رشيق ــ أحد نقادنا القدامى أيضا ــ الى ما ذهب اليه قدامة فى تفضيل المديح بالصفات النفسية الا أنه لا يجد غضاضة فى مزجها بالصفات العرضية أو الجسمية فيقول(٢٩) :

وأكثر ما يعول على الفضائل النفسية التى ذكرها قدامة ، فان اضيف اليها فضائل عرضية أو جسمية كالجمال والأبهة وبسطة الخلق وسعة الدنيا وكثرة العشيرة كان ذلك جيدا ، الا أن قدامة قد أبى منه

---

(٢٩) العمدة جـ ٢ ص ١٠٨ .

وأنكره جملة ، وليس ذلك صوابا ، وانما الواجب عليه أن يقول : ان المدح بالفضائل النفسية أشرف وأصح ، فأما انكار .... ما سواها كرة واحدة فما أظن أحدا يوافقه فيه أو يساعده عليه .

ومهما كانت أوجه الاتفاق والاختلاف بين الناقدين الا انهما يرجحان موقف عبد الملك التذوقى من الشاعرين .

ويبدو أن قدامة كان معجبا بنقدات عبد الملك فنجده يلتمس التفسير والعلل للأحكام التى أطلقها عبد الملك على بعض النصوص الشعرية غير مشفوعة بتفسير وتعليل .

وها هو ذا كثير ينشد عبد الملك مادحا فيقول :

على بن أبى العاصى ولاص حصينة
أجاد المرىء نسجها وأذالها
يود ضعيف القوم حمل قتيرها
ويستطلع القرم الأشم احتمالها

فقال له عبد الملك : قول الأعشى لقيس بن معدى كرب أحسن من قولك حيث يقول له :

واذا تجىء كتيبة ملمومة
شهباء يخشى الراهدون نهالها
كنت المقدم غير لابس جنة
بالسيف تضرب معلما أبطالها

فقال : يا أمير المؤمنين وصفتك بالحزم ، ووصف الأعشى صاحبه بالخرق .

---

(٣٠) نقد الشعر ص ٩٩ وما بعدها (الدلاص : الدرع الملساء اللينة أجاد المرىء : صانعها الماهر ـ القتير : رؤوس مسامير الضلوع .. القرم الأشم : الرجل و المكانة العالية ـ وكثير من الشعراء العذريين المشهورين توفى سنة ١٠٥هـ .

ويعلق قدامة على ما دار بين عبد الملك وكثير فيقول :

والذى عندى فى ذلك أن عبد الملك أصح نظرا من كثير ، الا أن يكون كثير غلط واعتذر بما يعتقد خلافه لأنه قد تقدم من قولنا فى أن المبالغة أحسن من الاقتصار على الأمر الوسط بما فيه كفاية ، والأعشى بالغ فى وصف الشجاعة ، حيث جعل الشجاع شديد الاقدام بغير جنة ، على أنه وان كان لبس الجنة أولى بالحزم وأحق بالصواب،ففى وصف الأعشى دليل قوى على شدة شجاعة صاحبه لأن الصواب له ، ولا لغيره الا لبس الجنة ، وقول كثير تقصير فى الوصف(٣٠) .

ولعبد الملك نظرات فى شعر الغزل ، وفيما ينبغى أن يكون عليه وقد حظيت باهتمام الكثيرين من نقادنا وأخذوا يؤصلونها بالتفسير والتحليل .

وها هو ذا عمر بن أبى ربيعة وقد جعل من غزله متنفسا خصبا للتعبير عما عجز عنه فى ميادين البطولة والاقدام ، فهو بطل مغوار ، وأمير مؤمر ، وقمر ساطع فى دنيا المعجبات ، المفتونات اللائى يطربنه ويتمنين وده ، والتضرع اليه لأنه شغف قلوبهن ، وسيطر على جوارحهن ، وشعره الغزلى يدور فى جملته حول هذه المعانى وذلك على شاكلة قوله واصفا ـ حسب ادعائه ـ بعض من وقعن فى غرامه حالة رؤيتهن له(٣١) :

بينما يذكرننى أبصرننى
دون قيد الميل يعدو الى الأغر

قالت الكبرى : أتعرفن الفتى ؟

قالت الوسطى : نعم هذا عمر

---

(٣١) ذيل الآمالى والنوادر ص ٦٦ وما بعدها (شريت : يقال شرى جلده أى خرج عليه الشرى وهو بثور صغار حمر حكاكة مكربة تحدث دفعة واحدة وتشتد ليلا لبخار حار يثور فى البدن) .

قالت الصغرى : وقد تيمتها
قد عرفناه وهل يخفى القمر
ذا حبيب لم يعرج دوننا
ساقه الحين الينا والقدر
فأتانا حين ألقى بركه
جمل الليل عليه واسبطر
ورضاب المسك من أثوابه
مرمر الماء عليه فنضر
قد أتانا ما تمنينا وقد
غيب الابرام عنا والقدر

فعمر كما فى الأبيات جعل نفسه معشوقا لا عاشقا وأعطى لنفسه من الصفات ما ينبغى أن تعطى للنساء ، ولهذا وجدنا عبد الملك ابن مروان يعجب بعمر ويزيد له فى العطاء حينما سمع نه عكس ما اشتهر به ، فها هو ذا يعبر عن وجد بمحبوبته أضناه وجعله يتمنى لقاءها حتى ولو كانت فى جهنم ، وذلك حينما اجتمع مع كثير عزة ، وجميل بثينة بباب عبد الملك ، فأذن لهم — فدخلوا — فقال أنشدونى أرق ما قلتم فى الغوانى ، فأنشده جميل :

حلفت يمينا يا بثينة صادقا
فان كنت فيها كاذبا فعميت
اذا كان جلد غير جلدك منى
وباشرنى دو ن الشعار شريت
ولو أن راقى الموت يرقى جنازتى
بمنطقها فى الناطقين حييت

وأنشد كثير عزة :

بأبـــى وأمـــى أنت مـــن مظلـــومة
طبن العـــدو لهـــا فغير حالهـــا
لو أن عزة خاصـــمت شمس الضـــحى
فى الحســـن عنـــد موفق لقضى لهـــا
وسعى الى بصرم عـــزة نســـوة
جعـــل المليك خـــدودهن نعـــالها

وأنشد عمر بن أبى ربيعـــة :

ألا ليت قبـــرى يـــوم تقضى منيتى
بتـــلك التى من بين عينيـــك والفـــم
وليت طهـــورى كان ريقك كلـــه
وليت حنـــوطى من مشـــاشك والدم
ألا ليت أم الفضـــل كانت قـــريبتى
هنـــا أو هنا فى جنـــة أو جهنم

فقال عبد الملك لحاجبه اعط كل واحد منهم ألفين ، واعط صاحب جهنم عشرة آلاف(٣٢) .

وما أعجب به عبد الملك هو ما دعا اليه كثير من نقادنا ممن أتـــوا بعده فالغزل عندهم ـــ « هو ما كثرت فيه ادلة عن التهالك فى الصبابة وتظاهرت فيه الشواهد الى افراط الوجد واللوعة ، وما كان فيـــه من التصابى والرقة أكثر مما يكون من الخشن والجلادة ، ومن الخشـــوع

---

(٣٢) ديوان عمر بن أبى ربيعة ص ١٧٣ وما بعدها (الحين : المحنة ـ البرك : صدر البعير أو ما ولى الأرض منه ـ اسبطر : امتد ـ مرمر الثاء جعله يمر على الشىء .. الأبرام : جمع البرم وهو السـأمة والضـجر ـ القذر : ابتعاد المرأة عن الرجال .

والذلة أكثر مما يكون فيه من الاباء والعزة ، وأن يكون جماع الأمر فيه ما ضاد التحافظ والعزيمة ووافق الانحلال والرخاوة(٣٣) .

ومما يدعو الى الاعجاب أن عبد الملك كان يتمتع بحس دقيق وبصر فنى نحو ايحاءات اللفظة فى نسقها الشعرى فاق احساس وبصر كبار الشعراء .

وها هو ذا جرير يقول معرضا بتغلب ومحاولا استعداء عبد الملك على الأخطل الشاعر التغلبى فيقول :

ان الذى حـــرم المكـــارم تغلبـــا
جعـل الخـــلافة والنبـوة فينـــا
مضـــر أبى وأبو الملوك فهـــل لكم
يـــا آل تغلـــب مـــن أب كأبينـــا
هـــذا ابن عمى فى دمشـــق خليفـــة
لو شئت ســـاقكم الى قطينـــا

فيقول عبد الملك معلقا على شعره : ما زاد على أن جعلنى رجل شرطة ، ولو قال : لو شاء ساقكم الى قطينا لفعلت(٣٤) .

وفى هذا التعليق ما يدل على حس أدبى لاقط ، وتـــذوق فنى رائع ، حيث تخلص من وقيعة أرادها جرير يذهب ضحيتها الأخطل شاعر عبد الملك المفضل ، وكسب رضا الشاعرين ، هذا فضلا عن وضعه لجـرير فى دائرة الحـرج وعدم التـوفيق فى مراعاته لآداب مخاطبة أصحاب السلطة والنفوذ .

---

(٣٣) نقد الشـعر ص ١٧٣ والعمـدة ج ٢ ص ١٠٠ وما بعـدها والصناعتين ٩٧ وما بعدها .

(٣٤) رحلة الشعر ص ٣٣ د. مصطفى الشكعة .

ومن هذا القبيل ــ أيضا ــ ما كان من جرير حينما دخل على عبد الملك فأنشده قصيدته التى مطلعها :

أتصحو أم فؤادك غير صاح عشية هم صحبك بالرواح

فقال له : بل فؤادك يا ابن الفاعلة ، كأنه استثقل هذه الواجهة(٣٥) وينشده الأخطل قصيدته الرائية التى يمدحه بها فيقول بادئا :

خف القطين فراحوا منك أو بكروا ...

فقال له : بل منك ان شاء الله ، فعاد الأخطل وغير المطلع بقوله : « خف القطن فراحوا اليوم أو بكروا »(٣٦) ..

ويدخل ذو الرمة على عبد الملك فينشده قصيدته البائية فى مدحه بادئا بقوله :

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلى مفرية سرب

ــ وكانت بعين عبد الملك ريشة وهى تدمع أبدا ــ فقال له : وما سؤالك عن هذا يا جاهل ، وامر باخراجه .

وكان الأحرى بهؤلاء الشعراء ألا يغفلوا فى مدائحهم لعبد الملك ما يتمتع به من تذوق مرهف واحساس دقيق بايحاءات الألفاظ والتراكيب ، ومدى مواءمتها لمتطلبات المقام .

لكن من يدرى فلعل ما حدث منهم أو من هم على شاكلتهم ممن وقعوا فى حرج أمام نقدات عبد الملك كان مقدرا ليساهم فى الكشف عن ماكة فنية رفيعة عند عبد الملك كان لها دورها البارز فى ازدهار الأدب بعامة والشعر بخاصة فى عصره وكذلك بعد عصره ، حيث حرص

---

(٣٥) العمدة جـ ١ ص ٢٢٢ .
(٣٦) الموشح للمرزبانى ص ٣٤٦ .

الشعراء المنكسبون والناطقون بلسان بنى أمية على أن يهتموا بتجويد عباراتهم واختيار ألفاظهم وتنخل معانيهم مادام فى ذلك ارضاء لملكة الخليفـــة واشباع لرغباتهم فى تكوين ثروات طائلة من تلك الأعطيات والجوائز التى لا يضن بها الخليفة على المجيدين منهم .

وليس بخاف على أحد من المنشغلين بالأدب وتاريخه أن الأخطل كان شاعر بنى أمية يمدحهم ويتقرب اليهم منذ معاوية بن أبى سفيان واتخذه يزيد بن معاوية نديما له ، فكان يرافقه ويلازمه حتى فى الحج الى البيت الحرام(٣٩) ، الا أن الأخطل لم يأت بالروائع الشـــعرية الا فى عصر عبد الملك ، وقصـــيدته التى مدحه بها بعد فتحـــه العراق وانتصاره على مصعب بن الزبير « خف القطين » طـــارت شهرتها فى الآفـــاق حتى أنه ليروى « أن عبد الملك قال له حـــين أنشدها : ويحك يا أخطل أتريد ان أكتب الى الآفاق أنك أشعر العرب ؟ فقال الأخطل : اكتفى بقول أمير المؤمنين ، وأمر عبد الملك له بجفنـــة كانت بين يديه فملئت دراهم وألقى عليه خلعا وخرج به مولى لعبد الملك على النـــاس يقول : هذا شاعر أمير المؤمنين ... هذا أشعر العرب(٣٩) .

واذا كان جرير قد اشتهر بأبيات أربعة فان أحد هذه الأبيـــات قوله فى مدح عبد الملك :

ألستم خير من كب المطايا وأندى العالمين بطون راح ؟

وحسب عبد الملك أن يكون من بين الذين التفوا حوله ينطقـــون بلسانه ويشـــيدون برغباته فرسان الشـــعر وأربابه آنذاك ــ جرير والفرزدق،والأخطل ــ باتفاق الكثيرين من أهل الأدب يقول الأصفهانى :

---

(٣٧) العمدة ج ١ ص ٢٢٢ والتفسير للأدب ص ٩٢ .
(٣٨) الأغانى دار الكتب ج ٨ ص ٣٠١ .
(٣٩) المرجع نفسه ج ٢ ص ٢٨٧.

« جرير والفرزدق والأخطل المقدمون على شعراء الاسلام الذين لم يدركوا الجاهلية جميعا ، ومختلف فى أيهم المتقدم ، ولم يبق أحد من شعراء عصرهم الا تعرض فانفضح وسقط وبقوا يتصاولون »(٤٠) .

وطبيعى أن يكون ما حرص عليه شعراء ابن مروان على اختلاف مشاربهم من الجودة فى أشعارهم هو ما حرص عليه شعراء الأحزاب المعارضة من شيعة وخوارج وزبيريين تدفعهم فى ذلك رغبة التفوق فى التأثير على جمهور المسلمين بما يروجون لأحزابهم من ناحية والاعتداد بقدراتهم الشاعرة من ناحية أخرى .

ولم يحل حرص الشعراء على الجودة من كثرتهم آنذاك كثرة لم تعهد من ذى قبل . وها هو ذا جورجى زيدان يقسم عصر بنى أمية بالنظر الى أغراض شعرائه الى ثلاثة أدوار ، وفى حديثه عن الدور الثانى يشير الى تميز عهد عبد الملك بكثرة شعرائه وكثرة النابغين فيهم دون سائر عهود خلفاء بنى أمية فيقول :

وخلفاء هذا الدور : مروان وابنه عبد الملك ، فالوليد ، فسليمان، فعمر بن عبد العزيز ، ولكن معظمه فى زمن عبد الملك بن مروان بحيث يصح أن ينسب اليه ... فيقال « دور عبد الملك » وفى أيامه اختلفت الأحزاب وتعدد طلاب الخلافة ، ونشبت الحروب ، وراجت سوق الشعر لجمع الأحزاب أو تفريقها ، وأكثر شعراء العصر الأموى نبغوا فى هذا الدرو وبلغ عددهم فيه نحو المائة »(٤١) .

ولا يخفى ما كان لشغف عبد الملك بوقوع الخصومة الشعرية بين الشعراء من دور فعال آنذاك فى اثراء الحركة الشعرية ونهضتها وانشغال الجماهير بها — ويرى أن جريرا دخل عليه والأخطل عنده ، وكانا قد تهاجيا ، ولم يلتقيا ، فقال جرير للأخطل : من أنت ؟ فقال :

---

(٤٠) الأغانى جـ ٧ ص ١٧٣ .

(٤١) تاريخ آداب اللغة العربية جـ ١ ص ٢٤٣ .

أنا الذى منع تومك ، وهضم قومك ، فقال له جرير : ذاك أشقى لك ، ثم أقبل جرير على عبد الملك ، فقال : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فضحك وقال : هذا الأخطل يا أبا حزرة ، فقال جرير : ائذن لى يا أمير المؤمنين فى ابن النصرانيـــة ، فقال : لا يكون ذلك فى مجلس ، فوثب جرير مغضبا فقال عبد الملك : قم يا أخطل ، واتبع صاحبك ، فانما قام غضبا علينا فيك ، فنهض الأخطل ، فقال عبد الملك لخادم له : انظـر ماذا يصنعان اذا برز الأخطل(٤٢) .

ويبدو أن عبد الملك كان حريصا على أن تبقى دولة الشعر نابضـة بالحيـوية والحركـة بعده ـ أيضا ـ والناظر لكتب الأدب وتاريخه الى التراثيين يرى أن عبد الملك كان يرغب أبنـاءه فى التعلق بالشعر ويسمعهم منه ما يتفق مع المقام ويدفعهم الى أن يسمع منهم هو الاخر « وقد حـدث أن سابق بين ابنيـه سليمان ومسلمة ، وكان من أبنـاء الاماء فسبق سليمان مسلمة فقال عبد الملك :

ألم أنهكم أن تحملـوا هجنـاءكم
على خيلكم يوم الرهـان فتدرك !
وما يستوى المرء ان هـذا ابن حـرة
وهذا ابن أخـرى ظهرهـا متشرك
وتضعف عضـداه ويقصر سـوطه
وتقصر رجـلاه فـلا يتحـرك
وأدركـه خـالاته فنزعنـه
الا أن عـرق السـوء لابد يدرك

ثم أقبل عبد الملك على مصقلة بن هبيرة الشيبانى فقال : أتدرى من يقول هذا ؟ قال : لا أدرى ، قال : يقوله أخوك الشنى .

---

(٤٢) الأغانى ٧/٦٥ .

قال مسلمة : يا أمير المؤمنين ما هكذا قال حاتم الطائى ، قال عبد الملك وماذا قال حاتم ؟ فقال مسلمة : قال حاتم :

وما أنكحونا طائعين بناتهم
ولكن خطبناها بأسيافنا قسرا
فما زادنا فيها السباء مذلة
ولا كلفت خبزا ولا طبخت تمرا
ولكن خلطناها بخير نسائنا
فجاءت بهم بيضا وجوههم زهرا
وكائن ترى فينا من ابن سبية
اذا لقى الأبطال يطعنهم شزرا
ويأخذ رايات الطعان بكفه
فيوردها بيضا ويصدرها حمرا
أغر اذا اغبر اللثام رأيته
اذا ما سرى ليل الدجى قمرا بدرا

فقال عبد الملك :

« وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذى لا تصبحينا »(٤٣)

وقد نجح عبد الملك فيما أراد لأبنائه ولدولة الشعر على أيديهم حيث بلغ من حبهم للشعر وتعلقهم به تذوقا وحفظ أن كانوا يتنافسون فيما بينهم من أجل تفضيل شاعر على شاعر أو معنى على آخر ... وها هو ذا الوليد بن عبد الملك ومسلمة أخوه(٤٤) ـ ويتشاجران فى شعر امرىء القيس والنابغة فى طول الليل أيهما أشعر ، فقال الوليد :

---

(٤٣) العقد الفريد جـ ٧ ص ١٤٢ وما بعدها .
(٤٤) النقد الأدبى : أصوله ومناهجه ص ١٦٢ .

النابغة أشعر ، وقال مسلمة : بل امرىء القيس ، فرضيا بالشعبى فأحضراه ، فأنشده الوليد للنابغة :

كلينى لهم يا أميمة ناصب
وليل أقاسيه بطىء الكواكب
تطاول حتى قلت ليس بمنقض
وليس الذى يرعى النجوم بآيب
وصدر أراح الليل عازب همه
تضاعف فيه الحزن من كل جانب

وأنشده مسلمة لامرىء القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدوله
على بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بردفه(٤٥)
وأردف أعجازا وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجل
بصبح وما الاصباح منك بأمثل
فيا لك من ليل كأن نجومه
بكل مغار الفتل شدت بيذبل

فطرب الوليد طربا ، فقال الشعبى : بانت القضية ، معنى قول النابغة : وصدر أراح الليل عازب همه ، وأنه جعل صدره مراحا للهموم ، وجعل الهموم كالنعم السارحة الغادية ، تسرح نهارا ثم تأتى الى مكانها ليلا وهو أول من أشتار هذا المعنى ، ووصف أن الهموم مترادفة بالليل لتقيد الألحاظ عما هى مطلقة فيه بالنهار ، واشتغالها بتصرف اللحظ عن استعمال الفكر ، وامرؤ القيس كره أن يقول أن الهم

---

(٤٥) الرواية المشهورة : لما تمطى بصلبه .

يخف عليه فى وقت من الأوقات فقال : وما الاصباح منك بأمثل • وقال الطرماح بن حكيم الطائى :

ألا أيها الليل الطويل ألا اصبح
بيوم وما الاصباح منك بأروح
ولكن للعينين فى الصبح راحة
لطرحتها طرفيهما كل مطرح

فنقل لفظ امرىء القيس ومعناه ، وزاد فيه زيادة اغتفر له معها فحش السرقة ، وانما تنبه عليه من قول النابغة ، الا أن النابغة أوح وهذا صرح •

ويذهب بعض الباحثين الى أن مسلمة بن عبد الملك هو الذى أعاد « فن » الحكمة الى الشعر وزاوله فى أخريات القرن الأول الهجرى ، وهذا بطبيعة الحال يخالف ما كان يجمع عليه مؤرخو الأدب العربى من أن الشعر لم يطرق الحكمة ولا زاولها بعد زهير وطرفة بن العبد الا فى أخريات القرن الثانى الهجرى ، حيث كان يعيش بشار الذى كان فى تقدير — مؤرخى الأدب العربى — أول من ظهرت الحكمة فى شعره فى مستهل العصر العباسى ، وأن فن الزهد والحكمة انما ازدهر عند أبى العتاهية(٤٦) •

واذا كانت الحاسة الأدبية عند عبد الملك قد لعبت دورها البارز فى ازدهار الشعر ورواجه فانها لعبت — أيضا — دورا نشطا فى تثبيت دعائم ملكه والتغلب على سائر الأحزاب السياسية وحركات التمرد المعارضة لبنى أمية •

فاذا ما كان عبد الملك حافظا للشعر وعارفا بأخبار بيوتات العرب فلم لا يذكرهم بما قيل فيهم من شعر ويشجعهم على الانشغال بمآثرهم وما قيل فيهم من أشعار — فى وقت عادت فيه العصبية

---

(٤٦) مسلمة بن عبد الملك :حياته العسكرية والأدبية ص ٦ .

القبلية أقوى مما كانت عليه فى الجاهلية ــ بدلا من أن يشغلوا بما يفسد عليه أمره ، وبخاصة اذا ما كانوا من هؤلاءالذين يقفون بجانب معارضيه ، أو الذين يميلون مع الريح حيث تميل ؟

وها هو ذا عبد الملك وقد دخل الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير، يدعو الناس الى البيعة ، فتقدم اليه معشر عدوان ، وفى ذلك يقول معبد العدوانى : فقدمنا اليه رجلا وسيما جميلا وتأخرت ــ وكان معبد دميما ــ فقال عبد الملك : من ؟ فقال الكاتب : عدوان ، فقال عبد الملك :

عذير الحى من عدوا
ن كانوا حبة الأرض
بغى بعضهم بعضا
فلم يرعوا على بعض
ومنهم كانت السادا
ت والموفون بالقرض

ثم قال على الجميل : فقال : ايه ! فقال : لا أدرى ، فقلت من خلفه :

ومنهم حكم يقضى فلا ينقض ما يقضى
ومنهم من يجبر الحج بالسنة والفرض
وهم مذ ولدوا شبوا بسر النسب المحض

قال : فتركنى عبد الملك ، ثم أقبل على الجميل فقال : من هو؟قال: لا أدرى ، فقلت من خلفه : ذو الاصبع ، قال : فأقبل على الجميل ، فقال : ولم سمى ذا الاصبع ؟ فقال : لا أدرى . فقلت من خلفه لأن حية عضت اصبعه فقطعتها فأقبل على الجميل فقال : ما كان اسمه ؟ فقال : لا أدرى فقلت من خلفه : حرثان بن الحارث ، فأقبل على الجميل فقال : من أيكم كان ؟ قال : لا أدرى ، فقلت من خلفه : من بنى ناج ، فقال :

أبعـــد بنى ناج وســـعيك بينهم
فلا تتبعن عينيك مـا كان هالكـــا
اذا قلت معـــروفا لأصـــلح بينهم
يقول وهيب : لا أصـالح ذلكـــا
فأضـحى كظهر العير جب ســـنامه
تطيـف به الولدان أحـــدب باركـا

ثم أقبل على الجميل،فقال كم عطاؤك ؟ قال : سبعمائة،فقال لى : من كم أنت ؟ قلت فى ثلثمائة . فأقبـل على الكاتبين ، فقال حطا من عطاء هذا أربعمائة وزيداها فى عطاء هـذا ، فرجعت وأنا فى سبعمائة وهو فى ثلثمائة(٤٧) ، وما كان من عبد الملك مع وفد عدوان على سبيل الاستدلال لا الحصر .

ود أدرك عبد الملك بحسه الأدبى ما طـرأ على المجتمع العـربى من تحول لا يستهان به فى مجال التأثر الفكرى والعاطفى بما يسمعون من أشـار الشعراء حول الخـلافة والجديرين بها ، لذا لم يأل جهدا فى استقطاب الشعراء وانتزاع ألسنتهم من ساحات الأحزاب المعارضـة أملا فى أن يضيفوا اليـه وللأمويين بعامة كسـبا أعلامـيا يعمل على تثبيت ملكهم واستقراره ، وكان لعطاء عبد الملك وهباته السخية أثرها من هذا الاتجـاه ، وبخاصة مع معظم شـعراء الزبيريين ان لم نقـل جميعهم ، وذلك لتضييق عبد الله بن الزبير عليهم واغفالهمن مصانعتهم .

ومما هو جدير بالذكر أن عبد الملك بن مروان أشـار الى ما كان لعطاياه والتفاف الشعراء حوله من أثر قوى فى استقرار حكمه وقدرته على التفوق سياسيا فى ادارة شئون الخلافة ، وأن ابن الزبـير كان دونه لبخله وعدم مصانعته للشعراء ، والراغبين فى الأموال وبريقها ،

---

(٤٧) الطبرى جـ ٦ ص ١٦٣ وما بعدها .

وذلك حينما سمع قول أعشى بنى شيبان يمدحه :

عرفت قريش كلها لبنى ابى العاص الامارة
لأبرهـا وأحقها عنـد المشـورة بالاشارة
المانعين لما ولوا والنـافعين ذوى الضراره
وهـم أحقهم بها عنـد الحـلاوة والمـراره

فقال معقبا : ما أعلم مكان أحد أقوى على هذا الأمر منى ، وان ابن الزبير لطويل الصلاة كثير الصيام ، ولكن لبخله لا يصلح أن يكون سائسا(٤٨) .

لذا لا نعجب أن نسمع من شاعر مثل أبى العباس الأعمى هجـاء مرا للزبيريين فى موطن خلافتهم ومقر حكمهم « مكة » وذلك على نحو قوله هاجيا بنى أسد « عشيرة آل الزبير » بعد أن نفـاه عبد الله بن الزبير الى الطائف ، وكان قد علم باتصاله بالأمويين ومدحه لهم :

بنى أسـد لا تذكروا الفخـر بينكم
متى تـذكروه تكـذبوا وتحمقـوا
متى تسألوا فضلا تضـنوا وتبخلوا
ونيرانكم فى الشـر فيها تحـرق
اذا استنبقت يومـا قريش خرجتم
بنى أسـد سكتا وذو المجد يسبق
تجيئون خلف القوم سـودا وجوهكم
اذا ما قريش للأضـايم أصـفتوا
ومـا ذاك الا أن للـؤم طابعـا
يلوح عليكم وسـمه ليس يخلـق

---

(٤٨) المصدر نفسه جـ ٦ ص ٤٢٢ .

وواضح من الأبيات أن الشاعر اتخذ من البخل مادة لهجاء ... الزبيريين،وأنه دفع الى ذلك بما أغدق عليه من عطايا الأمويين وهباتهم تلك التى جعلته يتجاوز الزبيريين فى هجائه الى الشيعيين ، وذلك على نحو قوله لابن الطفيل عامر بن وائلة وكان شيعيا :

لعمـرك اننى وأبا طفيـــل
لمختلفـــان والله الشـــهيد
لقـد ضـــلوا بحب أبى تـراب
كما ضلت عن الحـق اليهـــود

وكان عبد الملك بن مروان يميل الى هجاء أبى العباس للزبيريين ... ورميه لهم بالبخـل حتى ينصرف عنهم الأعوان والمساعدون ممن كانوا يجعلون العطـايا هدفهم الأسمى ، وقد حـدث أن ابن الزبـير كسابنى أسد وأحلافها ولم يكس أبا العباس فقال :

كست أســد اخوانها ولو أننى
ببلـدة اخـوانى اذ لكســيت
فلم تر عينى مثل حى تحملـوا
الى الشـام مظلومين منذ بريت

فلما حج عبد الملك عقـب استيلائه على الحجاز استنشده هـذه الأبيات ثم أوحى الى الناس أن يخلعوا اليه ففعلوا حتى اجتمع له من حلل الوشى والخز قدر ضخم وأمر له بعد ذلك بمال عظيم(٤٩) .

ولقد بلغ من حرص عبد الملك على استقطاب الشعراء وانتـزاع ألسنتهم من معارضيهم أنه كان يرسـل بالعطايا لورثة الشعراء الذين كانت لهم مواقف فى الاشادة ببنى أمية ولم تصلهم عطاياه .

---

(٤٩) الأغانى ١٥/٥٩ وما بعدها والشعر والشعراء ٣٦٩ ومابعدها

وفى قصته مع أبناء فضالة بن شريك ما يكشف لنا عن عمق ادراكه لدور الشعر فى توجيه الأفئدة والقلوب ، وترينا مدى الفارق بينه وبين عبد الله بن الزبير فى التعامل مع الشعراء — وكان فضاله بين شريك قد وفد على عبد الله بن الزبير الذى تربطه به صلة رحم وقال له : نفدت نفقتى ،ونقبت راحلتى ، فقال ابن الزبير له: أحضرها ، فأحضرها فقال : أدبر بها ، أقبل لها ثم أرقعها بسبتها،واحصفها بهاب،وأنجد بها ببرد خفها : وسر بها البردين تصح ، فقال فضالة : أتيتك مستحملا ، ولم آتك مستوصفا ، فلعن الله ناقة حملتنى اليك ، فقال عبد الله : ان وصاحبها ، فتركه وأنشد :

أقول لغلمتى شدوا ركابى
أجاوز بطن مكلة فى سواد
فما لى حين أقطع ذات عرق
الى ابن الكاهلية من معاد
سيبعد بيننا نص المطايا
وتعليق الأداوى والمزاد
وكل معبد قد أعملته
مناسمهن طلاع النجاد
أرى الحاجات عند أبى حبيب
نكون ولا أمية فى البلاد
من الأعياض أو من آل حرب
أغر كغرة الفرس الجواد

قال ابن الزبير لما بلغه هذا الشعر : علم أنها شر أمهاتى فعيرنى بها وهى خير عماته .

ولما تم الأمر لعبد الملك أرسل فى طلب فضالة فعرف أنه مات ، فأرسل الى ورثته عددا ضخما من الابل يحمل تبرا وتمرا(٥٠) ، وذلك تقديرا لاشادة فضالة بالأمويين وسخريته من ابن الزبير سخرية لاذعة، وكان مما قاله فى انشاده أيضا(٥١) :

شـــكوت اليه أن نقبت قلـوصى
فرد جـواب مشـدود الصفاد
يضن بناقـــة ويـــروم ملكـا
محـــال ذلكم غـير السـداد

واذا كان الشعراء الشيعيون يعتمدون فى مديحهم لآل بيت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على الطابع الدينى ــ لالتفاف جمهور المسلمين حـولهم والمعل على نصرتهم ــ فهم أولى الناس بامامة المسلمين ، وهم الورثة الشرعيون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ــ فى هداية الناس ، وكذلك كان الخـوارج ــ يصدرون فى شعرهم عن حماسة دينية فهم جماعة آمنوا بعقيدتهم ، واعتقدوا أن المسلمين ضلوا سواء السبيل ، أما هم فعلى الصراط المستقيم الذى تريده العنـاية الالهية(٥٢) ــ وشعراء الزبيريين يتغنـون بالصلات التى تربط بين

(٥٠،٥١) الأغانى ــ دار الكتب جـ ١٢ ص ٧١٣ وما بعدها ــ السبت ــ بكسر السين : الجلد المدبوغ ــ الخصف : المراد به شد الحذاء المصنوع من السبت الى خف الناقة بخيط مصنوع من الشعر الهلب بضم الهاء : الشعر ــ أنجد بها : يسر فى الطرق المرتفعة ــ ان : بمعنى نعم ــ الكاهلية احدى أمهات ابن الزبير ــ أبو حبيب : كنيـة عبد الله بن الزبير لمن أراد ذمه ــ الأعياص : خمسة من أبناء أمية هم : العاصى وأبو العاصى والعيص وأبو العيص والعويص ــ نقب البعير إذا حفى ورقت اخفافه ــ القلوص : الناقة

(٥٢) التطور والتجديد فى الشعر الأموى ص : ٩١ .

رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وابن الزبير ، فالزبير ابن عمة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ صفية بنت عبد المطلب،وابن أخ خديجة أم المؤمنين ، وهو من السابقين الى الاسلام ، والمشهورين بالبأس والاقدام شهد بدرا وسائر الغزوات ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم ــ يدعوه حواريه ، فدعاه المسلمون حــوارى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة الذين اختارهم عمر لينتخبوا خليفة من بينهم ، وابن الزبير بن السيدة أسـماء بنت أبى بكر ذات النطاقين ، وأخت عائشة ، وكثيرا ما كانت تدعــوه بابنها(٥٣) .

فلم لا يوجه عبد الملك شعراءه الى مزج مديحهم بما يضفى على شخصه وحكمه بريقا من القداسة المستمدة من رعاية الله له ، حتى ولو كان الأمر غير ذلك رغبة منه فى ألا يدع فكرة اعلامية لشعراء الأحــزاب الأخرى ينفردون بها دون شعرائه . ولهذا وقع من نفسى موقعا حسنا ما عال به الباحث الأستاذ طه أحمد ابراهيم اعجــاب عبد الملك بقول ابن الرقيات مادحا مصعب بن الزبير :

انما مصعب شهاب من اللــ ــه تجلت عن وجهه الظلماء

وعدم اعجابه بقوله فيه مادحا :

يأتلق التاج فوق مفرقه على جبين كــأنه الذهب

حيث يقول معللا : ان البيت لم يقع موقعا حسنا من نفس عبدالملك لا لأنه عدل فى مدحه عن الفضائل النفسية كما يقول قدامة ، بل لأن بين البيتين بونا شاسعا فى الجمال والقوة والروح لأن بيت ابن الرقيات فى مصعب أروع وقعا وأعــلى نفسا ، وأمس بالنــور العلوى ، وأشــد

---

(٥٣) أدب السياسة فى العصر الأموى ص : ٨٩ .

اتصالا بالله ، الذى يحرص الخلفـاء على أن يمثلوه فى الأرض • لهذا وحده • عتب عبد الملك على الشاعر(٥٤) •

ولعل من أسباب اعجاب عبد الملك بقصيدة الأخطل التى مدحـه بها وجعلـه من أجلها شاعر العـرب ، والتى بدأها بقـوله : « خف القطين » أن الأخطل جمع له فيها بين الصـفات التى كان الجاهليون يفاخرون بها ــ كالحلم والشجاعة والنجدة والكرم ونبل المحتد وما الى ذلك ــ وبين المعانى الدينية التى دار مديح شعراء الأحزاب المناوئة حولها ، فهو امام يستمد سلطانه من الله ــ عز وجل ــ وليس لأحد أن ينازعه حقه الالهى فى الخلافة ، وذلك على شاكلة قوله :

الى امـــام تنادينا فواضـله
أخفره الله فليهنىء له الظفـر
الخائض الغمر واليمون طلعته
خليفـة الله يستسقى به المطر
وما الفرات اذ جاشت غـواربه
فى حافتيـه وفى أوسـاطه العشر
وزعزعته رياح الصيف واضطربت
فوق الجآجىء من آذيه غـدر
مستحقر من جبال الروم يستره
منها أكافيف فيهـا دونه زور
يومـا بأجود منـه حين تسأله
ولا بأجهر منه حين يجتهر(٥٥)

---

(٥٤) تاريخ النقـد الأدبى عند العرب من العصر الجـاهلى الى القرن الرابع ص ١٣٨ وما بعدها •

(٥٥) ديوان الأخطل ص : ٩٩ وما بعدها •

وها هو ذا الفرزدق يمدح عبد الملك فيجعل منه خليفة الله على الأرض شأنه فى ذلك شـــأن خلفاء بنى أميـــة جميعهم ، لأنهم ورثوا الخلافة عن عثمان ـــ رضى الله عنه ـــ لذا فالله ناصرهم ، وخاذل كل من يطمع فى الخلافة سواهم فيقول :

فالأرض لله ولاهـــا خليفـــة
وصاحب الله فيها غـــير مغلـــوب
بعد الفساد الذى قد كان قام به
كذاب مكـــة من مكر وتخـــريب
راموا الخـــلافة فى غدر فأخطأهم
منهـــا صدور وفازوا بالعراقيب
والنـــاس فى فتنة عمياء قد تركت
أشرافهم بين مقتول ومحـــروب
وثموا ليستخلف الرحمن غيرهم
والله يســـمع دعوى كل مكـــروب
تراث عثمـــان كانوا الأوليـــاء به
سربال ملك عليهم غير مسلوب(٥٦)

وجرير يجعل من عبد الملك أمينا لله فى أرضه ، فهو يقرأ القرآن، ويلتزم بأحكامه وتطبيق مبادئه بين الرعية ، ولولا عبد الملك لضاعت أحكام الاسلام ، وانهارت هيبة المسلمين ، وعبد الملك ليس بدعا فى ذلك ، فهو ســـليل المروانيين المفضلين عند الله على ســـائر خصومهم فيقول :

لولا الخليفـــــة والقرآن يقـــرؤه
ما قام للنـــــاس أحكام ولا جمـــع

---

(٥٦) ديوان الفرزدق ص ٩٠ وما بعدها .

أنت الأمين أمين الله لا سرف
فيما وليت ولا هيابة ورع
أنت المبارك يهدى الله شيعته
اذا تفرقت الأهواء والشيع
فكل أمر على يمن أمرت به
فينا مطاع ومهما قلت يستمع
يا آل مروان ان الله فضلكم
فضلا عظيما على من دينه البدع(٥٧)

وواضح من النماذج السابقة أن الشعراء الأمويين لم يكتفوا باضفاء حالة من القداسة والروحانية على عبد الملك وقومه وانما رموا زعماء الأحزاب الأخرى بالفساد والعبث ، وليتهم وقفوا عند حد عبد الملك ، وانما تجاوزوه الى أبنائه من بعده فى صور لا تخلو من المبالغة الممقوتة ، وذلك على نحو مدح الفرزدق ليزيد بن عبد الملك قائلا :

ولو كان بعد المصطفى من عباده
نبى لهم منهم لأمر العزائم
لكنت الذى يختاره الله بعده
لحمل الأمانات الثقال العظائم
ورثتم خليل الله كل خزانة
وكل كتاب بالنبوة قائم
وحبلك حبل الله من يعتصم به
اذا ناله يأخذ به حبل سالم(٥٨)

---

(٥٧) ديوان جرير ص : ٣٥٠ .
(٥٨) ديوان الفرزدق ص ١٢٩ .

وفى هشام بن عبد الملك يقول جرير مادحا :

الى المهـــدى نفـــزع ان فرغنـــا
ونستسـقى بغـــرته الغمـــاما
وحبـــل الله تعصـــمكم قـــواه
فـــلا نخشى لعـــروته أنفصـــاما
رضينا بالخليفـــة حـــين كنـــا
له تبعـــا وكان لنـــا امـــاما
تبـــاشرت البـــلاد لكم بحكـــم
أقام لنا الفـــرائض واســـتقاما(٥٩)

وليس ببعـيد أن تكون مثـل هذه المبالغـات هى التى دفعت ابن الحنفية الى القول : أهل بيتين من العرب يتخذهما الناس أندادا من دون الله نحن وبنو عمنا هؤلاء يعنى بنى أمية(٦٠) .

على أن هذا المزج فى قصيدة المدح جعلها تتخذ طابعا سـياسيا يرفع من شأن الممدوح أما خصومه الذين لا يسلمون فيها من رميهم بتجاوز أمر الله به يعد تطورا لا يستهان به فى قصيدة المديح ، ولا نعدو الحقيقة اذا ما قلنـا : ان عبد الملك بحاسـته الفنية وادراكه لرسـالة الشعر كان من وراء هذا التطور .

واذا ما أراد عبد الملك عزل أخيـه عبد العزيز عن ولاية العهـد والمبايعة بها لابنه الوليد فبأى شىء يمهد حتى لا تثور ثائرة المتعاطفين مع أخيه من المروانين وغيرهم ويأمن سخط الناس ان لم ينل تأييدهم ومباركتهم لما نريد ؟ انه لا شىء سوى الايعاز الى شـعرائه بالدعوة الى ما يهدف اليه ، وها هى ذى الوفود تقبل عليه ، وينبرى شعراؤها

---

(٥٩) ديوان جرير ص ٥٠٥ .
(٦٠) طبقات ابن سعد جـ ٥ ص ٦٨ .

طالبين المبايعة للوليد ، فهو أقدر من غيره وأكفأ فى توجيهه لأمور الرعية حرصا منه على جمع الشمل ورأب الصدع أسوة بأبيه ، ومن يدرى فقد يحدث للرعية ما لا يحمد عقباه على أيدى عبد العزيز وأبنائه ان بقى وليا للعهد ، وحول هذه المعانى يدور عمران بن عصام وقد وفد فى جماعة من قومه على مجلس عبد الملك فيقول :

أمير المؤمنين اليك نهدى
على النأى التحية والسلاما
أجبنى فى بنيك يكن جوابى
لهم عادية ولنا قواما

فلو أن الوليد أطاع فيه
جعلت نه الخلافة والذماما
شبيهك حول قبته قريش
به يستمطر الفاس الغماما

ومثلك فى التقى لم يصب يوما
لدن خلع القلائد والتماما
فان تؤثر أخاك بها فانا
وجدك لا نطيق لها اتهاما
ولكنا نحاذر من بنيه
بنى العلات مأثرة سماما
ونخشى ان جعلت الملك فيهم
سحابا أن تعود لهم جهاما(٦١)

ولم يقتصر أمر الدعوة على شعراء الوفود ، وانما ساهم فيها الشعراء على وجه العموم . وها هو ذا عبد الله بن المخارق ، نابغة

---

(٦١) الطبرى جـ ٦ ص ٤١٣ .

« بنى شيبان » على سبيل المثال — وكان نصرانيا — يدخل على عبد الملك • وكن مجلسه حافلا بالناس فكان مما قاله :

آليت جهدا وصادق قسمى
برب عبد تجنه الكرح
يظل يتلو الانجيل يدرسه
من خشية الله طفح
لابنك أولى بملك والده
ونجم من قد عصاك مطرح
داود عدل فاحكم بسيرته
ثم ابن حرب فانهم نصحوا
وهم خيار فاعمل بسنتهم
واحى بخير واكدح كما كدحوا

فتبسم عبد الملك ، ولم يتكلم فى ذلك باقرار ولا دفع ، فعلم الناس أن رأيه خلع عبد العزيز(٦٢) •

ومادام الشعراء فى بلاط عبد الملك يشبعون كثيرا من رغبات حسه الفنى وبعده السياسى فلم لا يوسع لهم صدره ويجدون عنده والتهم عليه، فقد يكشفون له من أمور الرعية ما دق أمره وخفى عنه ، وهم أقدر الناس على التقاط أحاسيس الجماهير ومشاعرهم ؟ وقد حدث كل هذا •

وها هو ذا الأخطل يدخل على عبد الملك بغير اذن وعليه (الأخطل) جبة خز وفى عنقه سلسلة ذهب يتدلى منها صليب من ذهب وتنفض لحيته خمرا(٦٣) • ويروى — « أنه دخل على عبد الملك فاستنشده ،

---

(٦٢) الأغانى / ساس / جـ ١٦ ص ٥٨ •
(٦٣) تاريخ آداب اللغة العربية جـ ١ ص ٢٦٤ •

فقال : قد يبس حلقى فمر من يسقينى ، فقال : اسقوه ماء ، فقال : هو شراب الحمار وهو عندنا كثير ، قال : فاسقوه لبنا ، قال : عن اللبن قد فظمت ، قال : فاسقوه عسلا ، قال : شراب المريض : قال : فتريد ماذا ؟ قال : خمرا يا أمير المؤمنين ، قال : أو عهدتنى أسقى الخمر لا أم لك لولا حرمتك بنا لفعلت وفعلت ، فخرج ، فلى فراشا لعبد الملك ، فقال : ويلك ان أمير المؤمنين استنشدنى وقد صحل صوتى فاسقنى شربة خمر ، فسقاه رطلا ، فقال : اعدله بآخر ، فسقاه رطلا آخر ، فقال : تركتهما يعتركان فى بطنى ! فاسقنى ثالثا فسقاه ، فقال : تركتنى أمشى على واحدة ، أعدل ميلى برابع ، فسقاه رابعا ، فدخل على عبد الملك ، فأنشده : « خف القطين »(٦٤) .

وأيا كان مدى صحة هذه الرواية فانها تلقى الضوء على تلك المعاملة المرحبة من قبل عبد الملك لشعرائه .

ويذهب عبد الملك الى مكة حاجا ، فيدخل عليه الأعيان على مراتبهم ، وقام الشعراء والخطباء فتكلموا ، ودخل أبو العباس الشاعر — وكان قد رثى مصعبا بعد قتله فغضب عبد الملك — فسأله عبد الملك عن مدحه مصعبا فاستعفاه ، وقال : انما رثيته لأنه كان صديقى ، وقد مات أن هواى أمرى ، قال : صدقت ولكن أنشدنى قولك فيه فأنشده :

رحم الله مصعبا فلقد ما
ت كريما ورام أمرا جسيما

فما كان من عبد الملك الا أن قال : — وكأنما أتى ليناظر أبا العباس لا ليحاكمه — أجل لقد مات كريما .

---

(٦٤) أدباء العرب ص ٣٢٠ وما بعدها .

ولكنه رام التى لا يرومها من الناس الا كل حر معمم(٦٥)

وها هو ذا الراعى النميرى الشاعر يسير الى عبد الملك لونا من ألوان عنت جامعى الصدقات وقسوتهم على قومه النميريين — ويرجوه رد المظلم الى أهلها حتى يظل الأمن سائدا فى ربوع ملكه فكان مما قال(٦٦) ٠

أبلـــغ أمير المؤمنـين رسـالة
تشـكو اليك مضـلة وعـويلا
أخليفـــة الرحمـن انا معشـــر
حنفـاء نسـجد بكـرة وأصـــيلا
عـــرب نـرى الله فى أموالنـــا
حق الزكـــاة منزلا تنزيـــلا
ان السـعاة عصـــوك يـوم أمـرتهم
وأتوا دواهـــى لو علمت وغـــولا
أخـذوا العـــريف فقطعوا حيزومـه
بالأصـبحية قائمـــا مغلـولا
حتى اذا لـــم يتركـــوا لعظـــامه
لحـــما ولا لفؤاده معقـــولا
جاءوا بصكهم وأحـــدب أسـأرت
منـــه السياط براعـــة اجفيـــلا
أخـــذوا حمـــولته وأصـبح قاعدا
لا يسـتطيع عن الديار حـــويلا

---

(٦٥) الشعر والشعراء ص ٢٦٨ ٠
(٦٦) جمهرة أشعار العرب ص ٣٥٥
العريف : شيخ القبيلة ـ الأصبحية : السياط ـ الصك : صحيفة الصدقات ـ اليراعه والاجفيل : الجبان ٠

يدعو أمير المؤمنين ودونه
خرق تجر به الرياح ذيولا
كهداهد كسر الرماة جناحه
يدعو بقارعة الطريق هديلا

ولولا أن عبد الملك على درجة رفيعة وواعية من التفهم ورجابة الصدر مع شعرائه لما استطاع الراعى أن يطلعه على مثل هذا الخلل الادارى والذى يؤدى ستفحاله وشيوعه لى كوارث تهدد بسقوط حكمه وزوال ملكه ، وهذا فضلا عن مضمون النص الذى يعد وثيقة تاريخية وأدبية نادرة .

على أن رحابة صدر عبد الملك ووعيه الكامل بدور الشعراء لم يحولا دون عقابه لمن يتجاوز حدوده من الشعراء بشعر لا يتفق مع هواه — حتى ولو كان من آثر الشعراء عنده — وها هو ذا الأخطل يعاتبه على تراخيه فى معاقبة القبائل القيسية التى أسرفت فى العدوان على تغلب — قبيلة الأخطل — فيقول بعد وقعة البشر القاسية :

لقد أوقع الحجاف بالبشر وقعه
الى الله منها المشتكى والمعول
فالا تغيرها قريش بكلها يكـ
ن قريش مسترادٍ ومزحل

فما كان من عبد الملك الا أن قال له : الى أين يا ابن النصرانية(٦٧) ؟

والمتتبع لدور عبد الملك فى قيادة جيوشه بنفسه يجد أن حاسته الأدبية وتذوقه الجيد للشعر دفعاه بعد تردد لما فى قيادة جيوشه فى أدق المواطن وأصعبها — « وها هو ذا عبد الله بن خارجة يدخل على

(٦٧) الأغانى جـ ١١ ص ٦٠ .

عبد الملك فيجده مترددا فى الخروج لمحاربة ابن الزبير — حيث ظل مسيطرا على الحجاز والعراق لسنوات عدة من خلافة عبد الملك الذى لم يأل جهدا فى ارسال الجيوش المتعاقبة للقضاء عليه لكن دون جدوى — فقال له يا أمير المؤمنين ما لى أراك متلوما ينهضك الحزم ويقعدك العزم ، وتهم بالاقدام وتجنح الى الاحجام ، أنفذ لنصرتك وأمض رأيك وتوجه الى عدوك ، فجدك مقبل وجده مدبر وأصحابه له ماقطون ونحن لك محبون ، كلمتهم مفترقة وكلمتنا عليك مجتمعة ، والله ما تؤتى من ضعف جنان ولا قلة أعوان ، ولا يثبطك عنه ناصح ، ولا يحرضك عليه غلش ، وقد قلت فى ذلك أبياتا ، فقال عبد الملك : هاتها فانك تنطق بلسان ودود وقلب ناصح فقال :

آل الزبير من الخلافة كالتى
عجل النتاج بحملها فأحالها
أو كالضعاف من الحمولة حملت
ما لا تطيق فضيعت أحمالها
قوموا اليهم لا تناهوا عنهم
كم الغواة أطلتموا أمهالها
ان الخلافة فيكمو لا فيهم
مازلتم أركانها وثمالها
أمسوا على الخيرات قفلا مغلقا
فانهض بيمنك فافتتح أقفالها

فضحك عبد الملك وقال : صدقت يا أبا عبد الله ان أبا خبيب — عبد الله بن الزبير — لقفل دون كل خير ، ولا نتأخر عن مناجزته أن شاء الله ، ونستعين الله ليه وهو حسبنا ونعم الوكيل وأمر له بصلة سنية (٦٨) — وأبيات ابن خارجة — كما هو واضح — فيها من المعانى

---

(٦٨) تاريخ أداب اللغة العربية جـ ١ ص ٢٦٤ .

الحماسية ما يحسم أحقية عبد الملك وقومه فى الخلافة دون سواهم وتحملهم لمسئولية الدفاع عنها وحمايتها لأنهم المتلكون لأسباب النصر ووسائله ، كما أن فيها من معانى التقليل والتهوين من شأن الزبيريين وزعيمهم عبد الله بن الزبير ما يغرى عبد الملك الذواقة على التهيؤ .. والتصدى بحزم لخصمه دون تردد أو وجل .

ومما سبق يتجلى لنا ما كان من شأن الحاسة الأدبية الذواقة عند عبد الملك فى تخليد أثره وازدهار عهده سواء كان ذلك فى ميدان الادلاب بعامة أو الشعر بالخصة أو فى ميدان تثبيت ملكه واستقرار حكمه ، وهى وان كانت فطرية كما يرى بعض المنشغلين بالفنون ومن بينها الأدب ، حيث يرون ، أن هناك حاسة سادسة تولد مع الطفل بها يدرك ما فى الصورة من جمال وما فى الموسيقى من سحر ، كما يتذوق بها ما فى الشعر من حسن الخيال وجودة التصوير (٦٩) . أو كانت ملكة مكتسبة لا تحصل الا بممارسة كلام العرب ، وتكرره على السمع والتفطن لخواص تركيبه (٧٠) — الا أنها — كما يرى أصحاب الرأيين . معا — لا تنمو ولا يتمكن صاحبها من توظيفها فى التعامل مع النص الأدبى فهما وتقويما وتمتعا بجمالياته الا عن طريق تغذيتها .. بالاطلاع الدائم على ما نتجته القريحة الأدبية والتمرس على فهم أسراره وتذوق جمالياته ، وسرعان ما تتم — من هذا المنطلق — جسور التواصل بين النص الأدبى وصاحب الحاسة الأدبية . وينشأ بينهما ما يشبه الرجم أن هجر أحدهما الآخر شعر بالقطيعة واندفع بقوة الحنين الى صاحبه .

---

(٦٩) دراسات فى النقد الأدبى ص ٤١ .

(٧٠) مقدمة ابن خلدون ص ١٠٨٦ .

والى هذا أشار كثير من النقاد القدامى والمحدثين سواء كانوا عربا أو غير عرب ، وها هو ذا ابن الأثير يقول : « اعلم أن مدار علم البيان على حاكم الذوق السليم الذى هو أنفع من ذوق التعليم .. فان الدربة والادمان أجدى عليك نفعا وأهدى بصرا وسمعا وهما يريانك الخبر عيانا ويجعلان عسرك من القول امكانا . وكل جارحة منك قلبا ولسانا فخذ من هذا الكتاب ما أعطاك . واستنبط بادمانك ما أخطاك ، وما مثلى فيما مهدته لك من هذه الطريق الا كمن طبع سيفا ووضعه فى يمينك لتقاتل به ، وليس عليه أن يخلق لك قلبا ، فان حمل النصال غير مباشرة القتال (٧١) .

ومما قاله الناقد الفنى « بيترفوللر » اننى أومن بأن البشر جميعا يمتلكون بدرجات متفاوتة امكانية تذوق الجمال ، وان نمو هذه الامكانية مرهون بتدريب الذوق الفنى والقدرات التقييمية عن طريق الممارسة سواء فى مجال الابداع أو مجال الاستجابة (٧٢) .

ومما قاله أحمد ضيف : « يتكون الذوق السليم بالقراءة والدرس ، ويكتسب شيئا من اللين والمرونة وقبول الجديد لأن الذوق خلق من الأخلاق القابلة للتهذيب والتنقيح بالقراءة والفهم والدرس بحيث يكون ذوقا مبنيا على التجربة بما قرأ الانسان وفهم من العلوم والفنون ، فالذوق الصحيح ينضج ويتربى بالنقد والنقد يتهذب بالذوق لأنه معين ومساعد على الفهم وتفضيل الشىء على الشىء (٧٣) . وما ذكرت من أقوال النقاد والعلماء على سبيل الاستدلال لأن مثل هذه الأقوال كثيرة .

---

(٧١) المثل السائر ص ٣ لابن الأثير .
(٧٢) مجلة فصول المجلد السادس العدد الثالث ص ١٣ .
(٧٣) مقدمة لدراسة بلاغة العرب ص ٩٣ .

ولولا أن عبد الملك سبق أمثال هؤلاء النقاد والعلماء وما أتوا به من تقعيد وتنظير لتنمية الحس الأدبى والذوق الفنى الرفيع لقلنا أنه سار على نهجهم فيما وصلوا اليه من قواعد ونظريات لتنمية حسه وتهذيب ذوقه .

ومن هذا المنطلق يمكن القول : ان الذين قعدوا ونظروا لهذا الجانب انما اعتمدوا فيما وصلوا اليه على تقصيهم لأخبار من هم على شاكلة عبد الملك ممن يتمتعون بحس فنى مرهف ، حيث تراه يحفظ الكثير والكثير من الأشعار جاهلية كانت أو اسلامية لا لذات الحفظ ولكن لما فيها من قيم جمالية — أيا كان مصدرها — وأسرار بيانية يحرص كل الحرص على هضمها واستيعابها ، ويتجلى ذلك واضحا فى نظراته النقدية لكثير من أغراض الشعر وموازنته بين بعض نصوصه ليضع أيدينا على مواطن الحسن والقبح فى كل منها ، كما يتجلى ذلك أيضا فى تمثله بالشعر تمثلا دقيقا أمام ما يعن من أحداث وما يطرأ من أفكار وفى أوقات استنهاض الهمة وشحذ العزيمة ، وقد ذكرت نماذج تؤكد تمتع عبد الملك بثروة هائلة من الشعر المحفوظ لشعراء سابقين ومعاصرين ، وتبين حسن تقديره لهذه الثروة وتوظيفها فيما يؤكد أهميتها ونفاستها .

وقد وصف الشعبى عبد الملك .. بقوله : ما جالست أحدا الا وجدت لى الفضل عليه الا عبد الملك بن مروان فانى ما ذاكرته حديثا الا ... زادنى فيه ولا شعرا الا زادنى فيه (٧٤) . وتتجلى لنا قيمة هذا الوصف اذا ما عرفنا أن الشعبى كان — « أكبر الرواة فى زمانه والثقة الحجة فيما حفظ من الأحاديث النبوية » (٧٥) .

---

(٧٤) طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٦٦ .

(٧٥) شاعر الغزل للعقاد ص ٢٠ .

ولا أحسبنى مبالغا اذا قلت : ان عبد الملك كان ملما بقدر رفيع من ثقافة عصره وما يتصل بها من أخبار القبائل وما قيل فيها من أشعار ، وما لها من مآثر عامة أو خاصة على مستوى أفرادها ونحو ذلك مما كان له أثره فى صقل حسه الأدبى .

وعلى سبيل الاستدلال .. حينما دخل سلمة بن زيد بن نباتة الفهمى على عبد الملك فقال له عبد الملك : أى الزمان أدركت أفضل ؟ وأى الملوك أكمل ؟ قال : أما الملوك فلم أر الا ذاما وحامدا ، وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع أقواما ، وكلهم يذم زمانه لأنه يبالى جديدهم ويهرم صغيرهم وكل ما فيه منقطع غير الأمل ، قال : فأخبرنى عن فهم ، قال : هم كما قال من قال :

درج الليل والنهار على فهـ
م بن عمرو فأصبحوا كالرميم
ودخلت دارهم فأضحت يبابا
بعد عز وثروة ونعيم
كذاك الزمان يذهب بالنا
س وتبقى ديارهم كالوسوم

قال فمن يقول منكم :

رأيت الناس قد خلقوا وكانوا
يحبون الغنى من الرجال
وان كان الغنى قليل خير
بخيلا بالقليل من النوال
فما أدى علام وفيما هذا
وماذا يرتجون من البخال
الدنيا ؟ فليس هناك دنيا
ولا يرجى لحادثة .. الليالى

قال : أنا (٧٦) .

ويعد على مجلس عبد الملك جماعة من العلماء وأصحاب الرأى فى أخبار العرب وقبائلهم . فيقول لهم سائلا : خبرونى عن حى من أحياء العرب فيهم أنشد الناس ، وأسخى الناس ، وأخطب الناس ، وأطوع الناس فى قومه ، وأحلم الناس وأحضرهم جوابا ، قالوا : يا أمير المؤمنين ما نعرف هذه القبيلة ، ولكن ينبغى لها أن تكون فى قريش ، قال : لا ، قالوا ففى حمير وملوكها ، قال : لا قالوا : ففى مضر ، قال : لا ، قال مصقلة بن رقية العبدى : فهى اذا فى ربيعة ونحن هم ، قال : نعم ، قال جلساؤه : ما نعرف هذا فى عبد القيس الا أن تخبرنا به يا أمير المؤمنين . قال : نعم ، أما أشد الناس فحكيم بن جبل كان مع على بن أبى طالب — رضى الله عنه — فقطعت ساقه فضمها اليه حتى مر به الذى قطعها فرماه بها فجدله عن دابته ، ثم جثا اليه فقتله واتكأ عليه ، فمر به الناس فقالوا له : يا حكيم من قطع ساقك ؟ قال : وسادى هذا وأنشأ يقول :

يا ساق لا تراعى ان معى ذراعى أحمى بها كراعى

وأما أسخى الناس ، فعبد الله بن سوار استعمله معاوية على السند فسار اليها فى أربعة آلاف من الجند ، وكانت توقد معه نار حيثما سار ، ، فيطعم الناس ، فبينما هو ذات يوم اذ أبصر نارا فقال : ما هذه ؟ قالوا : أصلح الله الأمير اعتل بعض أصحابنا فاشتهى خبيصا فعملنا له فأمر خبازه ألا يطعم الناس الا الخبيص ، حتى صاحوا وقالوا : أصلح الله الأمير ، ردنا الى الخبز واللحم ! فسمى مطعم الخبيص .

---

(٧٦) الطبرى جـ ٦ ص ٤٢٠ وما بعدها .

وأما أطوع الناس فى قومه فالجارود بشر بن العلاء • انه لما قبض رسول الله — ﷺ — وارتدت العرب خطب قومه فقال : أيها الناس ان كان محمد قد مات فان الله حى لا يموت فاستمسكوا بدينكم فمن ذهب له فى هذه الردة دينار أو درهم أو بعير أو شاة فله على مثلاه ، فما خالفه منهم رجل •

أما أحضر الناس جوابا فصعصعة صوحان ، دخل على معاوية فى وفد أهل العراق ، فقال معاوية : مرحبا بكم يا أهل العراق ، قدمتم أرض الله المقدسة منها المنشر واليها المحشر ، قدمتم على خير أمير ، يبر كبيركم ويرحم صغيركم ، ولو أن الناس كلها ولد أبى سفيان لكانوا حلماء عقلاء ! فأشار الناس الى صعصعة ، فقام فحمد الله وصلى على النبى — ﷺ — ثم قال : أما قولك يا معاوية : انا قدمنا الأرض المقدسة ، فلعمرى ما الأرض تقدس الناس ، ولا يقدس الناس الا أعمالهم ، وأما قولك : منها المنشر واليها المحشر ، فلعمرى ما ينفع قربها ولا يضر بعدها مؤمنا ، وأما قولك : لو أن الناس كلهم ولد أبى سفيان لكانوا حلماء عقلاء ، فقد ولدهم خير من أبى سفيان آدم صلوات الله عليه ، فمنهم الحليم والسفيه والجاهل والعالم •

وأما أحلم الناس فالأشج العبدى فان وفد عبد القيس قدموا على النبى — ﷺ — بصدقاتهم وفيهم الأشج العبدى ، ففرقه رسول الله — ﷺ — وهو أول عطاء فرقه فى أصحابه ، ثم قال : يا أشج ادن منى فدنا منه ، فقال : ان فيك خلقين يحبهما الله — الأناة والحلم ، وكفى برسول الله — ﷺ — شاهدا ، ويقال • ان الأشج لم يغضب قط (٧٧) •

---

(٧٧) العقد الفريد جـ ٣ ص ٣١٧ وما بعدها •

ولا يسعنا بعد هذه السياحة الممتعة فى ربوع الحاسة الأدبيـة عنـد عبد الملك الا أن نقبل نحن أبناء بعرب ـ أيا كانت مسئولياتنا ومواقع أعمالنا ـ على دوحة الأدب العربى ـ ننتقى منها أطايب الثمر علنا نتغلب على هذا الخضم الهائل من معوقات الحيـاة المادية والجاثمة على كل معنى جميل وهدف سام نبيل ، فتتهذب النفوس وترق المشاعر وتسـمو الأحاسيس وتوقظ الهمم ، وصـدق الرسول ـ ﷺ ـ اذ يقول : ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكما .

وقد أدرك كثير من النابهين ما للأدب من سحر وما فيه من حكم ، فاسـتعادوا وأفادوا ـ أيا كانت وجهتهم ـ وقد روى أن عبيد الله ابن زياد بن أبيه التقى بمعاوية بن أبى سفيان فسأله معاوية عن أشياء من العلم فوجده عارفا بكل ما سأله عنه ، فاستنشده شعرا ، فقال : لم أرو منه شيئا ، فكتب معاوية الى زياد : ما منعك أن ترويه الشعر ؟ فوالله ان كان العاق ليرويه فيبر ، وان كان البخيل ليرويه فيسخو ، وان كان الجبان ليرويه فيقاتل (٧٨) .

د. محمد كريم

---

(٧٨) العقد الفريد جـ ٦ ص ١٢٥ .

أهم مراجع البحث

١ ـ أدباء العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام · بطرس البستانى · توزيع دار الجيل · بيروت ·

٢ ـ أدب السياسة فى العصر الأموى · د· أحمد الحوفى · طبعة نهضة مصر ·

٣ ـ الأغانى · أبو الفرج الأصفهانى · طبعة دار الكتب · القاهرة ·

٤ ـ الأمالى · أبو على القالى · طبعة دار الكتب · القاهرة ·

٥ ـ تاريخ آداب اللغة العربية · جرجى زيدان · منشورات مكتبه الحياة ـ بيروت ·

٦ ـ تاريخ الشعر العربى ج ١ ـ د· محمد عبد العزيز الكفراوى · دار نهضة مصر · القاهرة ·

٧ ـ تاريخ الطبرى · أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى · تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم · دار المعار ف · القاهرة ·

٨ ـ التفسير النفسى للأدب · د· عز الدين اسماعيل · دار العودة · بيروت ·

٩ ـ جمهرة أشعار العرب · أبو زيد القرشى · دار صادر · بيروت ·

١٠ ـ دائرة المعارف البريطانية ·

١١ ـ زيل الأمالى والنوادر · أبو على القالى · دار الكتب · القاهرة ·

١٢ ـ شاعر الغزل · عباس محمود العقاد · دار المعارف · القاهرة ·

١٣ ـ الشعر والشعراء · ابن قتيبة · طبعة الحلبى · القاهرة ·

١٤ ـ الصناعتين · أبو هلال العسكرى · دار الكتب العلمية · بيروت · تحقيق د· مفيد قميحة ·

١٥ ـ العقد الفريد · أحمد عبد ربه الأندلسى · دار الكتب العلمية · بيروت · تحقيق عبد المجيد الترحينى ·

١٦ ـ العمدة · ابن رشيق القيروانى · دار الجيل ـ بيروت · تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ·

١٧ ـ فجر الاسلام · أحمد أمين · طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٨ ـ مجلة عالم الفكر · الكويت · المجلد الخامس عشر · العدد الرابع

١٩ ـ مجلة فصول · المجلد السادس · العدد الثالث · الهيئة المصرية العامة للكتاب · القاهرة ·

٢٠ ـ مروج الذهب · المسعودى · طبعة بولاق · القاهرة ·

٢١ ـ مسلمة بن عبد الملك · حياته العسكرية والأدبية · على صافى حسين · الدار القومية للطباعة والنشر · القاهرة ·

٢٢ ـ مقدمة ابن خلدون ·

٢٣ ـ مقدمة ابن خلدون · ابن خلدون · المكتبة التجارية الكبرى · القاهرة

٢٣ ـ الموشح · المرزبانى · المطبعة السلفية · القاهرة ·

٢٤ ـ النقد الأدبى : أصوله ومناهجه · سيد قطب · دار الشروق · القاهرة

٢٥ ـ نقد الشعر · قدامة بن جعفر · مكتبة الكليات الأزهرية · القاهرة تحقيق د· محمد عبد المنعم خفاجى ·

٢٦ ـ ديوان الأخطل ·

٢٧ ـ ديوان الفرزدق ·

٢٨ ـ ديوان جرير ·

٢٩ ـ ديوان عمر بن أبى ربيعة ·